عنبر ٢٥

مسرحية

هنرى فوسيلى

محمد عادل أبو الخير

إهـــــــداء

إهداء خاص إلى أعزائى الذين ينتظرون كتاباتى لنشرها عبر الإنترنت (الهاكرز)، فهم يمثلون دار نشر خاصة أحببتها كثيراً، ربما لا أكسب من ورائها مالاً ولكنى ربحت الكثير من القراء بمجهوداتهم المشكورة، وهو عندى مكسب كبير، أشكر لكم جهودكم ولكم منى كل الأمنيات بالتوفيق وتحقيق أكثر إنتشار.

محمد عادل أبو الخير

القاهرة

نوفمبر ٢٠١٦

الشخصيات

الراوى

منير أو دكتور منير : طبيب حديث، تم تعيينه مؤخراً ويبحث عن التفوق والتميز فى العلاج النفسى عبر طرق غير تقليدية للتشخيص والعلاج.

دكتور ذكى وحيد : مدير المستشفى، أعلى سلطة بالمستشفى، متكبر وديكتاتور، يظن فى نفسه الذكاء المتناهى، حلو اللسان.

خير الله : أحد المجانين بعنبر ٢٥ وهو شاب بدوى فى الثلاثينات من عمره، به سمره ولم يتخلى عن غطاء رأسه البدوى، لا يعرف له أحد أسم محدد فأطلقوا عليه خير الله لسماعهم منه ذلك الإسم ذات مرة، عليه علامات الطيبة العربية.

صابر : شاب فى النصف الثانى من العشرينات، درس الكيمياء أحضره أهله إثر صدمة نفسية عنيفة بعد موت إحدى قريباته التى كان يحبها، دائماً يضع ثوباً أبيض على كتفه متظاهراً بالطيران كالأشباح.

الأستاذ إدريس: رجل مسن تخطى الستين بسنوات قلائل، نوبى الأصل، أسمر البشرة يزين رأسه الشيب. كان يعمل مدرساً بأحد المدارس قبل تقاعده، كان دائما ما يحيد عن المناهج الدراسية إلى أشياء غير مفهومة.

صلاح: شاب حديث التخرج، تخصص فى التاريخ، ما زال يبحث عن عمل منذ سنوات نسى عددها.

رجل لا يعرفه أحد: كثير الحركة بين أرجاء المسرح وكثير الخروج من العنبر، كلما نظرت إليه إبتسم.

راضى: إبن دكتور ذكى وحيد، شاب فى نهاية العقد الأول، مرح وعصرى.

مـقــدمـــة

يظهر الراوى من أقصى يمين المسرح أمام الستار التى لم ترفع بعد، يتحرك وسط هالة دائرية من الضوء تتحرك به من أقصى اليمين لتسلمه إلى وسط المسرح ثم تتوقف به ....

الراوى : (ناظراً إلى الأرض شارد الذهن) أيها السيدات والسادة، أيها المشاهدون المجانين، أعتذر عن ذلك الوصف...

يخرج منديلاً ويجفف به جبهته التى بللها العرق، ثم يعاود الكلام

الراوى: (مدخلاً منديله فى جيبه) السيدات والسادة، أيها المشاهدون العقلاء، نعم العقلاء، أحببت أن أروى لكم أحداثاً ربما لم تكن فى الماضى البعيد، ربما تحسبونها من نسج الخيال، وربما أيضا تظنونها من الواقع، فأياً كان ظنكم فهى أحداث لا أظن أن تعيروها إهتمامكم .. لأنكم عقلاء، نعم عقلاء، لم أتِ اليوم لأقص عليكم قصص العباقرة ولا بطولات القياصرة، أو نضال الزعماء وحيل الدهاة، ما جئتكم اليوم بقصة حب تخطت العقبات وقفزت الحواجز، ولكن جئتكم بحكايات المجانين **(يهمهم قائلا: فلا يسلى العقلاء مثل قصص الجنون والمجانين)**، أيها الجمهور العاقل ...

يتوقف ثم يخرج منديله ثانية ويجفف عرقة الذى عاود بلله لجبهته قائلا لنفسه: أرجوا ألا أضطر للإعتذار عن تلك المقدمة حين تسدل الستار... ثم يعاود حديثه للجمهور

الراوى: أيها الجمهور العاقل، أتركم مع أحداث قصتنا، أقصد قصتهم – قصة مجانين عنبر ٢٥.

يهم بالخروج من جهة اليمين ويتبعه ضوئه كظله، ثم يتراجع عن خروجه من هذه الجهة، ويرجع للخروج من جهة اليسار هو وضوؤه، ويقول أثناء خروجه:

الخروج من هناك **(مشيراً إلى يسار المسرح)** فلا شئ يعود من حيث بدأ، الدخول والخروج فى خط مستقيم لا عودة فيه إلى نقطة البداية.

ويرفع الستار

الفصل الأول

مكتب دكتور ذكى وحيد، حجرة فخمة مضيئة بإضاءات مختلفة، بها تحف وعلى جدرانها لوحات، على المكتب أكثر من تليفون، يجلس دكتور وحيد بمكتبه يحادث أحدهم بالتليفون، يستجلب ثقته بأن كل أوامره وتعليماته بشأن المستشفى يتم تنفيذها كما يشاء بل وأفضل ...

(يدخل دكتور منير من أحد أركان المسرح المواجه لمكتب دكتور ذكى وحيد، يشير إليه دكتور وحيد بالجلوس حتى ينهى مكالمته، يجلس دكتور منير على مقعد بعيد عن المكتب).

ينهى دكتور ذكى تليفونه فيقف دكتور منير متجهاً إليه ويمد يده ليصافحه

منير: (موجها حديثه إلى دكتور ذكى) دكتور منير .. طبيب تم نقله إليكم ليزداد علماً وخبرة بتوجيهاتكم.

دكتور ذكى :(متناولا ملفا ورقيا كان أمامه) دكتور منير .. كنت تعمل بإحدى مصحات الريف النائية، طموح، تم نقلك بناءً على طلبك، تميل للنقد دائماً، أرجوا ألا يدفعك نقدك إلى تعديك حدودك مع رؤسائك!

منير: يبدو أنتى لست بحاجة إلى تعريف نفسى!! فقد سبقنى غيرى بتعريفك إياى! ولكنى أحب أن أوضح أن طموحى هو ما دفعنى إلى الحلم بالعمل ضمن فريق حضرتك.

دكتور ذكى: أعلم أن العمل معى حلم كل طموح، ولكن عليك بالإجتهاد **(يعطيه ملفاً ورقياً)** خذ هذا الملف وتصفحه سريعا فهو أولى مهامك هنا.

منير: (متناولا الملف) عنبر ٢٥ !

دكتور ذكى: (ضاحكا) هذا عنبر متميز فهو يضم أخطر مجانين البلد.

منير: وأولى دروسى من حضرتك هو سؤالى عن كيفية تصنيفهم كمجانين وكيف تم تصنيفهم بأخطر المجانين؟

دكتور ذكى: يبدو أن المعلومات التى وصلتنى عنك أكيدة، هم مجانين لأنهم مجانين .. أصحاب منطق وفكر وسلوك شاذ وغريب وغير مدركون للواقع الذي يعيشونه.. ألم تتعلم ذلك من قبل؟

منير: لم أجد فيما تعلمت تعريفاً ثابتاً للجنون.. ولكنى على أى حال أطمع فى الزيادة من علم حضرتك، ولى سؤال يراودنى منذ زمن بعيد لم أجد له جواب وكم حلمت بمقابلتك لأروى ظمأى.

دكتور ذكى: (مظهرا الفخر) طالب العلم مثلك الذى يرعى مقام معلمه لا يُرد سؤاله.

منير: بأى مقياس نصنف الناس فنقول هذا مجنون وذلك عاقل؟

دكتور ذكى: هل أنت جاد فى سؤالك؟ فتلك مسلمة ليس فقط من مسلمات الطب النفسى بل هى مسلمة من مسلمات المجتمع، كل صاحب فكر وسلوك شاذ وخطر على من حوله فهو مجنون.

منير: معظم الأفكار التى غيرت العلم تأتى من نقد المسلمات، أو التى كان يظن الناس أنها مسلمات، فعلها جاليليو وكوبرنيكوس.

دكتور ذكى: ربما تختلف الحقائق المادية عن حقائق الطبائع البشرية، أنظر إلى بديهيات المجتمعات وأنت تعرف أن من شذ عن فكر المجتمع السائد ينبذه ذلك المجتمع ويصفه بالجنون، ولا تعرف العلوم المادية هذه القاعدة، فليس عندنا جاليليو ولا كوبرنيكوس.

منير: نعم ! نعم! والأن أطمع فى أن تحدثى أكثر عن أولى مهامى فى فريقكم، عنبر ٢٥ ونزلائه.

دكتور ذكى: عنبر ٢٥ أصنفه أنا على أنه أخطر عنبر فى المصحة بل أخطر عنبر على البشرية، ستجد به نماذج مختلفه لأناس يتحدثون بلغة غير مفهومة على الإطلاق يخالفون بها كل مسلمات البشرية، منهم من يظن أنه شبح غير مرئى ومنهم من يظن فى نفسه العظمة والنرجسية ومنهم .... أترك لك معرفة البقية.

منير: وهل هذه الأفكار تؤهلهم للحصول على لقب أخطر المجانين؟ لا أقصد التشكيك فى تصنيف حضرتك ولكنى أطلب العلم.

دكتور ذكى: أتفهم ذلك وأقدره، المرض ليس عيباً ولا توجد له خطورة إلا إذا هدد الحياة أو شكل خطرا على الغير أو ثوابتهم.

منير: وهل أمراضهم تهدد الحياة؟

دكتور ذكى: تهدد ثوابت المجتمع، فخطورتها من نوع خاص، خطورتها فى قدرتها على العدوى والإنتقال.

منير: يا لها من أمراض خطيرة !! ولكنى ما زلت لا أفهم كيف تعدى تلك الأمراض أو تنتقل؟

دكتور ذكى: (مبتسماً) يبدو أنك نسيت أن من الأمراض العقلية أو قل النفسية ما ينتقل بالمحاكاة والمعايشة، فقد يعدى أحدهم بجنونه مئات إن خالطهم، لذلك نحن نحتجزهم هنا حتى شفائهم حفاظاً على المساكين من حولهم.

منير: بقى طلب أخير يدفعنى كرمكم إلى طلبه.

دكتور ذكى: حريٌ بمثلك أن يطمع بكرم مثلي.

منير: هل تسمح لي حضرتك أن أتبع أسلوباً جديداً فى دراسة المرضى؟

دكتور ذكى: **(ضاحكا)** أى أسلوب جديد الذى تريده يا دكتور فرويد؟

منير: أطلب من حضرتك السماح لى بمخالطة نزلاء عنبر ٢٥ وكأنى واحد منهم فأقترب منهم أكثر حتى أعرف صغائر فكرهم ودوافع سلوكهم فإن ذلك سيسهل العلاج كثيراً.

دكتور ذكى: **(منفعلا)** هل جننت؟ يبدو أن طموحك يأخذ بك إلى الجنون، أقول لك أن أمراضهم شديدة العدوى وتطلب منى مخالطتهم؟ إنهم مرضى تم حجرهم وليسوا سجناء فتتبع معهم تلك الألية، عد إلى عقلك يا دكتور فنحن لا نريد أن نزيدهم واحداً.

منير: لا تقلق يا أستاذى فلدى القدرة على التمييز بين الفكر والسلوك السوى والمرضى، وأعتقد أن معرفتى ستكون حصناً لى من العدوى.

دكتور ذكى: لا معرفتك ولا فلسفتك سوف تنفعك.

منير: إن سمحت لى بذلك، فسيكون لك كل الفضل فى تتمة بحثى، ذلك الفضل يدفعنى دفعاً بأن يكون البحث بإسمك، وإلا سأكون ناكراً لجميلك فى تتمته، وهذا أقل شئ ولا أظننى أوفي به حقك، وبه يعلو إسمك أكثر وأكثر.

دكتور ذكى: **(محركاً يده على ذقنه)** صفقة رابحة لك بكل تأكيد، أوافقك !! ولكن تذكر أنى قد حذرتك.

منير: أشكر لك تواضعك بالموافقة.

(يتجه دكتور ذكى إلى مكتبه فرحا بالصفقة العلمية التى إنتزعها من منير)

تسدل الستار عن الفصل الأول

الفصل الثانى:

عنبر ٢٥، غرفة متسعة بضوء خافت يميل إلى الظلمة، يتراص بها أسرة بشكل هندسى جامد، كل سرير خاص بأحد المجانين، منهم من ترك مضجعه ويلازم أحد فتحات الجدران متأملاً السماء، بينما يجلس الأخر القرفصاء على سريره، وأخر يتحرك هنا وهناك وكأنه يطير بين جوانب الغرفة، والأخرين بين نائم وقارئ ....

يتوسط دكتور منير الغرفة ويراقب للحظات أحوال النزلاء..

(خير الله يقف أمام نافذة سدت بقضبان من حديد، ولكنه مازال يستطيع رؤية السماء من فتحات قضبانها ويتحسس الهواء بأنفه، يثبت خير الله نظره إلى نجوم السماء مخرجاً زفيراً بين الوقت والأخر وكأنها نفثات جوف يحترق، لفتت حالته إنتباه دكتور منير فتوجه إليه)

منير: ما بك؟

خير الله: أطلق نارى للسماء كالتنين.

منير : أى تنين؟

خير الله: التنين الذى يخرج ناراً من فمه !!

منير: ولكنى لا أرى ناراً تخرج من فمك.

خير الله: لا ذنب لى فى ضعف إبصارك ! إذهب إلى طبيب .

منير: ما إسمك؟

خير الله: فرانسوا، وأصدقائى ينادوننى ليوناردو، وبما أننا جيران فى العنبر فيمكنك أن تنادينى لورانس.

(ينظر إليه دكتور منير محركاً يده على ذقنه وكأن رأسه تحدثه بتشخيص حالة الشاب) ، يقطع تفكيره ذلك الشاب الطائر من أمامه وكأنه شبح.

ثم يعاود منير مناقشة خير الله

منير: من أين أنت؟

خير الله: من وطن كنت أعيش فيه، ثم نفوه منى ..

منير : (مستفسرا) تقصد نفوك منه؟

خير الله: لا !!! أنا مازلت أعيش فيه، هو الذى ما عاد يعيش فى، فقد نفوه منى، فأنا أسكن وطناً ويسكن بداخلى غيره، أعيش فرانسوا فى أرض العرب ولورانس فى وطنهم.

عاد الشاب المتشح بالقماش وكأنه شبح للتحليق حوله

خير الله: (ناظراً إلى السماء وكأنه يتذكر) قديماً فى طفولتى علمنى أبى أنى عربى على أرض عربية، فإذا بى حين كبرت وجدتنى أحمل بداخلى وطناً ليس وطنى.

(كاد الفضول يقتل دكتور منير وتغير وجهه وتسارعت لهجته وقال)

منير: إذا لم تكن فرانسوا أو لورانس ولا ليوناردو فمن تكون إذاً؟؟ أعلم أنك من بلادنا فلغتك تدل على ذلك !! وما هذا الغطاء الذى تربطه على رأسك ولا ترضى بإنتزاعه؟

خير الله: لا تغضب يا مجنون، فأنا من بلاد العرب، أقصد من بلاد كانت للعرب، وحين جئت إلى مدينتكم وتركت بيدائى وإبلى العربية، لم أجد عندكم أى عرب....

منير: بل مدننا عربية لا تطأها غير أرجل العرب.

خير الله: (منفعلاً) لم تعد أرجلكم عربية، ولا أرواحكم عربية، ولا ألسنتكم ولا نساؤكم ولا ....

(يقطع حديثه وإنفعاله ذلك الشبح الطائر بين أركان الغرفة)

(يتنهد عميقاً ثم يعاود بث ناره للسماء كالتنين) ثم يقول

خير الله: تجول بالخارج - هناك فى شوارع المجانين – ولسوف تتيقن أنه لم يعد هناك عرب، إقرأ جرائد مدنهم التى تهتك ستر الله لعباده وتتبع عوراتهم، أنظر إلى فنونهم التى تصور بناتهم وقد نزع الحياء منهن حين نزعت النخوة عن رجالهم والحمية عن شيوخهم، إمشى بشوارعهم تجد لورانس فى مدنهم وليوناردو فى نواديهم وفرانسوا فى مدارسهم، أما أن تجد عربياً كما عهدنا العروبة فذلك شحيح .... ما أراك إلا أنك تردد قول المجانين بالخارج ودعواهم بأنهم عرب، لو كنت عربياً لما أكلت من موائد غيرهم، وما دنت لغيرهم بعلم أنت صانعه، ثم ما شأنك بغطاء رأسى!!! إنما هو رباطها وعقالها حتى لا تطير كما طارت رؤوس المجانين فإستحى بعضهم من إنتسابه للعرب، وإجتهد فى نفى ذاك الإتهام، أضع على رأسى كفنها، فأخر ما تبقى لدى هو كفن عربى لم تطله يد التغريب، أحمى به رأسى العربية وأفديه بها.

يتحرك الرجل الذى لا يعرفه أحد بين أرجاء المسرح ثم يخرج خارج المسرح

(عاود خير الله النظر إلى السماء والنجوم وقال)

خير الله : كنت أعمل بموقع شركة تعمل عندنا فى الصحراء، أرعى عروبتى وترعانى بعيداً عن تلوث شهيق المدن وزفيرها، حتى إذا إنتهى العمل بموقع أرضى، إنتقلت إلى مدنكم العاقلة، وكنت أحلم أن أرى نخوة مدن العرب وأسمع زئير أهلها فى وجه كل زائغ، فهم أهل الثقافة والقرأة، فإذا بالمدينة وقد إحتلتها كائنات مجنونة وغريبة، كائنات بأجساد عربية ونفوس ورؤوس غريبة كل الغربة عن العرب، لم أحتمل شوارعكم ونواديكم وسيناماواتكم ولم يحتملونى.....

ثم سكت خير الله وإرتجف خوفاً عندما رأى رجال دكتور ذكى تقترب منه، فقد عهد عذاب إقترابهم ، فهم لم يقصدوه إلا ليقتادوه لجلسات إعادة تنظيم إيقاع المخ بشكل يختلف عن المعنى الطبى المعروف ولكنه معروف عن أهل هذا العنبر، أو تأخذهم الرحمة به فينقلونه إلى عنبر أخر بمفرده.

إنسحب دكتور منير عندما سحبوا خير الله وهو يصرخ ويحاول الإفلات من هول ما قد يلقاه من سياط العلاج وقسوة دكتور ذكى وحيد.

(ينظر منير إلى الرجل المجهول الذى دخل العنبر مع رجال مدير المستشفى، يبتسم الرجل دون أن يتكلم)

هدوء للحظات بعد إختفاء صرخات خير الله، حتى ذاك الفتى الشبح قد سكن وكأنه قد حط على الجدران بلا حراك ولا طيران....

إقترب منير من ذاك الشاب الصغير الذى حط لتوه من طيرانه وقد ظهرت وداعته فجأة وكأن الخوف من رجال مدير المستشفى قد حولته لشخص عاقل، ثم سأله

منير: من أنت؟

صابر: هل ترانى؟

منير: نعم أراك .. وما يمنعنى من رؤيتك؟

صابر: غريبة !! وهل لك القدرة على رؤية الأشباح؟

منير: أشباح ؟ ... لا !!

صابر : إذاً كيف ترانى؟ وكيف تسمعنى؟

منير: أراك كما ترانى ... وأسمعك كما تسمعنى!

صابر: الأشباح ترى الناس ولا يرونها .. وتسمعهم ولا يسمعونها.

منير: على أى حال ... ما إسمك؟

صابر: أنا شبح.

منير: هذا إسمك؟

صابر: لا !! بل هذا أنا ... ولكن إسمى صابر

(يقول منير لنفسه يبدو أننى أمام دون كيخوته جديد) .... ثم يكمل حديثه إليه

منير: وكيف إكتشفت أنك شبح؟؟

صابر: يبدو أنك مجنون، فالمجانين وحدهم لا يعرفون الفرق بين بنى الإنسان وبنى الأشباح، ومع ذلك سأجيب سؤالك، فذلك واجب الأشباح العقلاء على البشر المجانين .... الإجابة ببساطة تناسبك هى أنك إذا كنت غير مرئى، وصوتك لا يسمعه أحد من البشر، فأنت إذاً شبح ..... يا مجنون.

(يشعر منير بشئ فى نفسه حيث تبادر إلى ظنه أن صابر أراد إهانته .. سرعان ما تذكر أنه يكلم أحد المجانين وأن لا حرج على هؤلاء)

منير: ولكنى أراك وأسمعك... فكيف تكون شبحاً ؟

صابر: ربما لأنك أنت أيضا شبح ....(**يمد يده ليصافح منير)** مرحباً بك يا صديق .. أهلاً بك فى عالم الأشباح.

منير: متى عرفت أنك شبح؟ يا صديقى الشبح.

صابر: بما أننا أصبحنا صديقين فسأخبرك بذلك ... كنت أشك فى كونى شبحاً منذ صغرى، عندما كنت أتحدث إلى أبى فلا يسمعنى وأكبر أمامه فلا يرانى، تعلمت كما أراد هو ولم يسمع صوتى ولم يرنى ..... حتى عندما أحببتها ...

منير: (مقاطعا) من هذه؟

صابر: شبح مثلى ... لم تكن مرئية أو مسموعة، ولكنى رأيتها ورأتنى.. وسمعتها وسمعتنى، وحين ذهبت لخطبتها لم يرنى أبوها ولم يسمعنى .. قلت سأُكد بذراعى من أجلها، فلم يسمعنى،... كنت ألقى إستعدادى بإنفاق عمرى لإسعادها فهى شبحى الوحيد، فلم يرنى أو يسمعنى، ربما أراد لها من ينفق عليها غير ما أملكه لإنفاقه، حتى هى قد نحل جسدها ومرضت فلم يرها أو يسمع صوت أنينها، .. فلم يكن أحد يراها أو يسمعها غيرى.... وتأكدت أنى شبح حين تخرجت وبحثت عن عمل ... لم يرنى أحد أو يسمع صوتى، تقدمت لإختبارات كثيرة لم أجد فى إجتيازها صعوبة، ولكن يبدو أنهم معذورون فأنا شبح لن يرانى أحد منهم أو يسمعنى .. كان على شبح مثلى أن يبحث عن إنسان مرئى ومسموع الصوت ليخرجه من عالم الأشباح إلى العالم المرئى، ولكن أسعارهم عالية لا يستطيعها الأشباح.

منير: مسكين عالم الأشباح !

صابر: نعم مسكين، حتى هنا فى المستشفى، إذا طالب أحدنا بتحسين الطعام فإن دكتور ذكى يذكره بأنه شبح ليس له جسد مرئى أو صوت مسموع.

يقترب الرجل المجهول من الشبح ثم يخرج من المسرح

منير: (للشبح) وهل للأشباح قناة إتصال بعالم البشر المرئى؟

صابر: نعم، فعالم البشر المرئى عالم هش لا يقوى بمفرده ولا سبيل إلى نجاحهم إلا بالإستعانة بنا.

منير: كيف ذلك؟

صابر: ببعض التعويذات التى تظهرنا لهم فيرونا ويسمعون أصواتنا.

منير: أعذرنى يا صديقى الشبح فإنى جديد فى عالم الأشباح وأريد منك أن تعلمنى كل كبيرة وصغيرة عن عالمى الجديد

صابر: تقصد أنك حديث إكتشاف شبحيتك !! ومع ذلك فسأل ما شئت فأنا رفيقك حتى تكتشف نفسك.

منير: قلت أن هناك تعويذات، يستخدمها البشر لطلب مساعدتكم ، أقصد مساعدتنا- نحن بنى الأشباح- هذه التعويذات تنقلنا من عالم ما وراء الطبيعة إلى العالم المرئى والمسموع...

صابر: نعم ولا أنكر.

منير: وما تلك التعويذات؟

صابر: الإنتخابات وطبول الحرب

(ثم يدق صابر على منضدة بجانبة قرعات تشبه قرعات الحروب وتنتشر الضجة فى المكان فيدخل رجال دكتور ذكى وحيد لسحب صابر إلى حيث يعلم هو وزملاؤه، فيحاول أن يطير ولكنهم كانوا أسرع إليه من أجنحته)

يصطحبوه معهم تاركين خلفهم ضجة فى العنبر، يخرجون به من المسرح وهو يصرخ ويصيح... يخفت الصوت تدريجياً علامة على إبتعادهم عن المسرح، ثم يعلو صراخه فجأة وينقطع فجأة.

يدخل الدكتور ذكي وحيد من طرف المسرح، يقف بوسط المسرح

الدكتور ذكى: (مخاطباً المجانين) .. أخبرتكم مراراً ألا يتحدث أحد منكم عن شكواه وإحتياجاته مع الغرباء أو الأقرباء ، كم أخبرتكم أن ذلك شأن داخلى يخصكم أنتم فقط لا شأن لغيركم به ولكنكم مجانين لا تفهمون، حذارِ ثم حذارِ أن تنطقوا بكلمة حتى فيما بينكم، وتذكروا أن كل كلمة وخاطرة تصلنى وليس عندى سوى ما تعلمون جميعكم جزاءً وفاقاً، **(يواصل بلهجة أقل حدة وأكثر رقة)** هذا قطعاً لمصلحتكم فقط ولا شئ أكثر من ذلك، فأنتم تجهلون ما يلاقيه نزلاء المستشفيات الأخرى، فارعوا نعمتكم كى لا تزول ..

ثم يخرج من المسرح وسط صمت تام...

(ينظر منير إلى الرجل المجهول فى أحد أركان المسرح، فيبتسم ذلك المجهول)

هناك فى أقصى ركن بالعنبر، يجلس رجل يزين البياض رأسه لم يتحرك رغم الأحداث، يظهر عليه علامات اليأس والإستسلام، ربما للأحداث وربما إستسلاماً لدهر أرهقه

نزاله، يتجه دكتور منير إليه ويجلس على حافة سريره ليتجاذب معه أطراف الأحاديث عله يحل بعض ألغاز يأسه ...

منير: هل يرضيك ما يحدث يا حاج؟

عم إدريس: نعم يرضيني ... ذاك جزاؤه وجزاء أبائه وسيحصده أبناؤه من بعده.

منير: لا أظن أنك شامت !!... فسمتك يدل على طيبتك.

عم إدريس: أنا لست شامتاً .. ولكن من بذر البذور حصد الثمار.

منير: هو لم يفعل شئ ليحصد الألم.

عم إدريس: أبوه فعل.

منير: هل تعرف أباه؟

عم إدريس: ومن منا لا يعرفه.

منير: وماذا فعل أبوه؟

عم إدريس: لم يحفظه من الجنون ... بل سلمه إليه تسليماً.

(يتحرك منير بعيداً عن الشيخ ويقول لنفسه يبدو أن هذا الرجل المسن يعرف الشاب وأباءه .. ثم يعود إلى الشيخ ... فقد وقع على صيد ثمين)

منير: يبدو أنك تعرف الشاب جيداً .. ولكن أولاً دعنا نتعارف ولتكن البداية منى .. أنا ...

عم إدريس :(مقاطعا منير) لا !! البداية منى .. فالبداية دائما تأتى من الكبار.

منير: (مبتسماً) لك ما شئت.

عم إدريس: إسمى أستاذ إدريس .. فاهمنى ؟ أستاذ ! نعم أستاذ! ... من النوبة وكنت أعمل مدرساً.

منير: مرحبا بالمعلم والمربى الفاضل.

عم إدريس: لقد قلت مدرساً ولم أقل معلماً أو مربياً ... إياك أن تخلط بين اللفظين... ألم أخبرك أن البداية تأتى من الكبار؟؟

منير: لا تغضب .. فقد أردت أن أرفع من شأنك وشأن من شابهك.

عم إدريس: يا بنى .. لو كنت ممن عرف شأنه وشأن مهنته ما حصد جيلكم الجهل.

منير: (مفكراً فى كنايات الشيخ) لا يا أستاذ فأنتم أهل العلم والوقار.

عم إدريس: حقاً ؟؟ أشكر لك ذلك ... ينادوننى هنا عم إدريس .. لعلى أنسى.

منير: تنسى ماذا؟

عم إدريس: أنسى ما أل إليه تعليمكم ..

منير: أوافقك .. أه من هذا المرفق الهام.

عم إدريس: هل تظن أنى غير راضٍ عن تعليمكم؟ أخطأت.

منير: (محدثاً نفسه) يبدو أننى ظننت فيه العقل أكثر مما ينبغى ... يقول كلاماً وعكسه!!!

منير:(إلى أستاذ إدريس) أخبرنى إذاً كيف أنك راضى مما رفضته منذ لحظات .. وما دخل ذلك فيما حدث لصابر وأوصله للجنون .. إسقنى من خبرتك ..

عم إدريس: هل حصلت على شهادة؟؟

منير: نعم وبأعلى تقدير.

عم إدريس: كم لك من الزملاء؟

منير: كثير .. وجميعهم متفوقون وحصلوا على شهاداتهم بأعلى الدرجات فأنا لا أصاحب إلا الأفذاذ.

عم إدريس: إذاً ما مشكلتك مع التعليم ؟؟

منير: (حائرا) ربما ... ربما ... لا أعلم

عم إدريس: أى بنى إن العلم سيجد دوماً عقولاً تستوعبه أو تحفظه .. ما أكثر الشهادات وما أكثر العقول التى تمتلئ معادلات كيميائية وأصول فلسفية وخبرات عملية .. لا يصعب ذلك على الكثير.

منير: (لنفسه) غريب هذا الرجل ... يبدو أنه هنا منذ زمن بعيد لا يعلم الواقع خارج هذه الحجرة.

عم إدريس: (مستكملاً حديثه) هل لاحظت أننا نناقش التعليم وكأن المتعلم ألة مفرغة من الأبعاد الإنسانية؟؟

(يتجه الرجل المجهول إلى عم إدريس عند سماعه لفظة الأبعاد الإنسانية ... ينظر إليه ثم يخرج من العنبر)

منير: أبعاد إنسانية ؟؟ أستاذى الفيلسوف .. أنا لا أفهم الفلسفة .

عم إدريس: تقذف المدارس مئات وألاف المتعلمين بشهادات وخبرات لا حصر لها .. ولكنها عقول تزدحم بالعلوم ونفوس تفتقر إلى الأخلاق .. كمن يعطى سلاحاً لسفيه.. ينفقون الكثير لتحصيل العلم ويضنون بالقليل على أخلاق أهله.. ولو أننا أودعنا الخلق فى نفوس الأبناء لكفانا من العلمِ القليل .. ضاعت أخلاق الإنسان فما عاد ينفعنا هندسته ولا طبه ولا فلسفته .. بل أصبحت تؤذينا .. ترى طبيباً وكأنما قُد قلبه من حجارة، ومعلماً يتباهى بالفحش أمام طلابه، وعالم يضلل الناس لتزداد ثرواته .. هل هذا نقص علم ؟؟ بل هذا نقص أدب.

منير: الحق معك .. هى أوزارنا.

عم إدريس: بل أوزار أبائكم حملوكم إياها .. وأورثتموها لأبنائكم .. **(يعلو صوته فجأه ويهب واقفاً)** تحملون الشهادات .. لن تنفعكم بلا خلق .. عقول مزدحمة ونفوس مفتقرة .. من ينقذ العالم من عالِم بل أدب .. فويل للعالم من مثقف بلا أدب.

(يعود إلى حالته مرتجفاً حين يرى رجال دكتور ذكى يقتربون منه)

عم إدريس: (صارخاً) لم أقل شيئاً، لم أخبر أحداً .. أخبرهم يا منير أنى لم أخبر أحداً ... بل حالكم هو من أخبرنا جميعا ..

يختفى صوته فجأة بعد خروجه من المسرح

(ينظر دكتور منير إلى الرجل المجهول فيبتسم)

لم يبقى فى العنبر سوى مجنون واحد وشخصان أحدهما دكتور منير والأخر لا يعرفه أحد.

(يتجه دكتور منير إلى صلاح الذى يجلس على الأرض فى أعمق زاوية فى العنبر، يحيط رجلاه بذراعية، يحمل رأسه بين ذراعيه، ملتصقاً بالحائط مقلصاً حجمه إلى أقصى درجة حتى كاد أن يخترق الحائط.

منير: مرحبا .. أنا زميلك الجديد.

(لم يرد صلاح ولم يغير من جلسته أو حتى ينظر إليه، فتعجب منير ووجه نظره إلى الرجل المجهول الذى يبتسم حين النظر إليه !!!)

منير: (إلى صلاح) يبدو عليك الكرم، والكرماء لا يبخلون برد التحية.

صلاح: (دون أن يغير من وضعه): مرحباً.

منير: أريد أن أرى من أخاطبه.

صلاح: (وهو على حاله) كرمى يمنعنى أن أريك ما لا يشرفك رؤيته .. كذلك أخبرونى.

منير: بل يشرفنى رؤية الكرماء.

صلاح: (يرفع رأسه رويداً) ولكنى لست منهم ... كذلك أخبرونى.

منير: ما إسمك يا جارى ؟

صلاح: يقولون أنى صلاح، ولا أدرى لماذا سمونى بهذا الإسم ؟ فليس لى منه نصيب.

منير: من أى بلد أنت؟

صلاح: من بلد ليس لها تاريخ أعرفه .. كذلك أخبرونى.

منير: أخبرونى أنك دارس جيد للتاريخ.

صلاح: وكذلك أخبرونى!!

منير: أدبك وكرمك يخبرانى أنك إبن أخيار!!

صلاح: ربما !! فأنا لا أعرف عنهم شيئاً.

منير: هل لا تعرف شيئاً عن أهلك؟ وهل يجهل المرء أباءه وأجداده؟

صلاح: كذلك أخبرونى.

منير: كم عمرك؟

صلاح: ولدت بالأمس .. كذلك أخبرونى.

منير: (يكتم إبتسامة من إجابات الرجل) كيف ولدت بالأمس؟ هل نسيت عمرك؟

صلاح: ليس لى ولا لأبى عمر، فالعمر يحدده تاريخ المرء، ولا تاريخ لى.. كذلك أخبرونى.

منير: (غاضباً) كذلك أخبرونى، كذلك أخبرونى .. من هم أولئك الذين يُنسون المرء عمره؟ حتى يصبح عمرك ما يخبرك به غيرك؟

صلاح: إهدأ !! فالصبر من شيم الكرماء.

منير: تتحدث كثيراً عن الكرم والكرماء.. أين تعلمت الكرم إذا لم يكن لك أباء تعرفهم ولا عمر تدركه؟

صلاح: يبدو أنك عاقل مثلنا، فالعقلاء وحدهم من يعرفون أن لا أحد يطعم المرء الكرم والكرامة سوى الأباء.

منير: أشكرك .. ولكن ألا يأمرك كرمك أن تجيب سؤالى؟ من أخبرك بعمرك الصغير وأنساك أيام أبائك وأجدادك؟

صلاح: أنت تعرفهم.

منير: أقسم لك أنى لا أعرفهم.

صلاح: مادمت لا تعرفهم فلم جئت إلى هنا؟

(يتغير وجه منير حيث ظن أن الرجل قد فضح أمره)

منير: (متلعثماً) سأخبرك بذلك يوما ما .. ألا يحفزك طمعى بكرمك أن تجيب سؤالى؟

صلاح: بل أجيبك رغم خوفى .. فكرمى يدفعنى دفعاً لإجابة كل سائل .. ولكنى أطمع بمروئتك ألا تخبر أحداً أنى أخبرتك.

منير: وذاك ظنى .. وأعدك ألا أخبر أحداً.

صلاح: هم من أخبرونى بأنى ولدت بالأمس وأن أبائى ولدوا قبل أمس .. فليس لى ولا لهم أى مأثر أو فضل، فما ولدنا إلا بالأمس، ولكنى أعرف أبائى جيداً وذاك سر أحبسه بصدرى.

منير: أعذر تطاولى .. ولماذا تسر هذا الخبر؟ أليس أحرى للمرء أن يفخر بأبائه وأجداده ومأثرهم ؟؟.. أم ليس لهم مأثر تذكر؟

صلاح: (غاضباً) بل لهم كل المآثر ومعالى الأمور والمجد .. أتعلم من تحدث؟ إنك تحدث حفيد الأطهار وإبن الأخيار.. فعلى ومعاوية الأطهار أجدادى، وصلاح الدين وعبد الرحمن الناصر أبائى، ومحمد الفاتح والقانونى أعمامى، والبيرونى وابن النفيس أخوالى .. فلتحفظ كلامك حين الحديث مع الشرفاء أبناء السادة..

(يتحرك الشخص المجهول فى العنبر ثم يخرج من المسرح)

منير: (بصوت مرتعش) أعرف شأنك ولا أجهله .. فسامحنى يا بن الأطهار.

صلاح: هل علمت الأن لماذا أحفظ هذا السر ولماذا يجب عليك حفظه؟

منير: أعذر ضعف إدراكى.

صلاح: لا بد أنك مجنون ويحيرنى أنك هنا .. مع العقلاء .. عليك حفظ السر يا مسكين حتى لا يعرفون أنك تعرفه، فالعقلاء أمثالنا فى خطر .. فهم معرضون للإنقراض من هذه الأرض! فإذا سألك أحد عن أجدادك فقل لهم لا أعرفهم ولا أعلم عن أيامهم شيئاً لتسلم، ولتزداد سلامتك.. أخبرهم أنهم رعاع سفاكى دماء جهلاء محتلون .. ونصيحتى لك يا مسكين أنك كلما زدت فى وصفهم بالدونية والسفاهة كلما وثق العقلاء فى ثقافتك وإطلاعك وعقلك، إقرأ رأى المستشرقين وأنقلها ورددها، إبحث فى كتب الجهال وأنشئ مثلها تكن عالم ومؤرخ، وإياك إياك يا مسكين من كتب أجدادك وأقوالهم وتاريخهم فإنه لا يرتقى عند العقلاء إلى الثقافة، قل معى وردد: ليس لى ماضى إلا ما أخبرونى به، فقد ولدت بالأمس، بل لم أولد إلا اليوم.

(يدخل رجال دكتور ذكى ليقتادوه وهو يصرخ، أخبرته أنى ولدت بالأمس فإسألوه، ثم يوجه حديثه إلى منير: أخبرهم أنى ولدت بالأمس ... أخبرهم أن أجدادى محتلون مختلون سفكوا الدماء وأهدروا الأموال.. أخبرهم أرجوك ليتركونى...

(يخفت الصوت فجأة خارج العنبر)

(يسدل الستار على الشخصين: دكتور منير وشخص يبتسم ولا يعرفه أحد)

الفصل الثالث

(يُرفع الستار عن مكتب دكتور ذكى ، وشاب فى نهاية العقد الأول من عمره، يرتدى بنطلون جينز وسترة جميلة، يجلس على مقعد واضعاً إحدى ساقيه على الاخرى، يتصفح إحدى المجلات الفنية، يطرب ويتمايل ميلاً خفيفاً مع موسيقى تبدو غريبة تنبعث من سماعات علقها بأذنيه)

يدخل منير، ويسلم على الشاب الموجود ويخبره أنه سينتظر دكتور ذكى حتى يعود..

منير : (مخاطبا الشاب) مرحباً .. إسمى دكتور منير، أعمل هنا بالمصحة.

الشاب: (طارباً مع الموسيقى) أهلاً ... وأنا راضى، إبن دكتور وحيد ذكى.

منير: إسم جميل.

راضي: أشكرك .. وأنا أحب هذا الإسم فإن لى منه نصيب.

منير: سعدت بمعرفتك، **(متناولا المجلة من يد راضى)** ماذا تقرأ؟

راضي: تلك مجلة عن أخبار مشاهير العالم ... وهذا الإصدار له أهمية خاصة حيث إنفرد بنشر أسرار خاصة بالراقصة طرب وقصة الوشم على ذراعها، فإن قصته حقاً عجيبة.

منير: يبدو أنك قارئ جيد !!

راضي: نعم .. فأنا مغرم بالقرأة والثقافة .. فعندى قناعة بأن الفرق بين الإنسان والحيوان هو المعرفة والثقافة.

منير: أنا أعرف القرأة ولكنى لا أعرف تعريفاً للثقافة.

راضي: الثقافة هى أن تعرف ما يدور حولك .. أن تشارك العالم فى معارفه .. أن تكون رجل عصرى ومتحضر.

منير: ولكن المعارف لها فروع شتى.

راضي: يكفى أن تكون على دراية بما يدور حولك .. كأخبار المشاهير والفنانين وصيحات الموضة وفكر الأخر وعاداته.

منير: (بشئ من السخرية المستترة) يبدو أنك شاب ذكى ومثقف حقاً، ماذا تريد أن تكون فى المستقبل؟

راضي: يجهزنى أبى لأكون مثله، فهو يبذل الكثير فى سبيل ذلك .. يقول أن ذلك هو إرثه ويجب الحفاظ عليه حتى يوصله إلى أبنائه.

منير: وهل توافقه؟

راضي: بكل تأكيد .. فأنا أحب أن أكون قوياً مثله، أحب أن أمتلك قدرته على تصنيف الناس بحسب عقولهم.

منير: ولكن ذلك يحتاج إلى الكثير لتستطيع الحكم على أفكار الناس.

راضي: حينما أصبح مثله سيكون لى ذلك.

منير: ماذا تسمع؟

راضي: أحد الكلاسيكيات الأجنبية .. فأنا أحب تاريخ الثقافات الأجنبية خصوصاً الموسيقى ... كم هى راقية.

منير: وماذا عن العربى منها؟

راضي: لا تروق لى كثيراً .. ربما لأنى لم أهتم بها من قبل .. فأنا عصرى كما أخبرتك.

(يدخل دكتور ذكى وحيد، فيقف منير لإستقباله بينما يعود راضي إلى مجلته وموسيقاه ووضعه الأول غير مبالٍ بدخول والده)

دكتور ذكى: (مرحبا بولده) أهلاً بطبيب المستقبل .. هل شربت شيئاً؟

(يومئ راضي برأسه دون أن يتكلم)

دكتور ذكى: (إلى منير) هل تعرفت إلى راضي ؟ ذاك الفتى الواعد.

منير: شرفنى ذلك... **(مستكملاً حديثه)** قدمت إلى حضرتك تقريراً كاملاً عن حالات عنبر ٢٥ وأنتظر الرأى.

دكتور ذكى: (متناولاً ملفاً من مكتبه ويلقيه بشئ من العصبية) أى تقرير؟ هل هذا تقرير يعتد به فى عالم الطب النفسى؟. لقد ضربت عرض الحائط بكل مسلمة فى هذا العالم .. ماذا تظن نفسك؟ لقد خذلتنى.

منير: لم أخذلك .. ولكنى كتبت وجهة نظرى.

دكتور ذكى: تباً لهذه الكلمة .. كل مخطئ لا يجرؤ على الإعتراف بخطئه يقول هذه وجهة نظرى، ماذا تظن نفسك حتى تتحدث عن وجهة نظرك؟

منير: أنا لا أجد سبباً لهذا الغضب!!

دكتور ذكى: وهذا سبب أخر لغضبى ... أخبرتك أن تشخيصى أنا.. أستاذك... هو أن هؤلاء شرذمة من أصحاب المنطق والفكر والسلوك الشاذ والغريب وغير مدركين

تماماً للواقع الذي يعيشونه، هم خطر على ثوابت المجتمع، يجب حجرهم حتى الشفاء، حتى يصبحوا أفراداً صالحين.

منير: (بشئ من الغضب يحاول كتمانه) مقياسكم خطأ .. تقول أنهم أصحاب فكر شاذ !! شاذ عن ماذا؟ تقول أنهم غير مدركين للواقع!! أى واقع تقصد؟ تقول يجب حجرهم حتى يكونوا أفراداً صالحين !! أى مقياس للصلاح تقصد؟

دكتور ذكى: يبدو أنك نسيت كل ما تعلمت! بل ونسيت من تكلمه!

منير: لم أنسى من أكلمه بل عرفته جيداً، يبدو أن أستاذى قد نسى أو غاب عن علمه أن كل مختلف ليس بغريب أو مجنون، يبدو أنك نسيت أن كل فكرة جديدة كانت فى بدايتها فكرة شاذه، هذا إن كانت جديدة أصلاً، يبدو أنك تجهل أن كل إبداع إنما هو جمال مختلف عن السائد، يبدو أنك نسيت أنك تتكلم عن إنسان! .. أستاذى الكبير إذا فسد السائد فهل يكون الصالح شاذاً وغريباً؟ **(يضحك ضحكات عالية كالمجنون)** إقرأ تاريخ الإنسان يخبرك أن الفكرة لا تموت بموت أصحابها، إنما هى كالنار تخفت وتتأجج ولكنها لا تموت.

دكتور ذكى: (وهو يضغط أحد أزرار مكتبه مستدعياً شخصاً أخر) يبدو أن ما بلغنى صحيح ! يبدو أنك تعانى من عدوى حادة.. طلبت منك يوماً أن تتذكر تحذيرى إياك.

(يدخل الرجل الذى لا يعرفه أحد ويشير إليه دكتور ذكى أن يصطحب منير إلى حيث إتفقا، يقتاد الرجل دكتور منير وعلى وجهه إبتسامته المعروفة بينما يصرخ منير محاولا الإفلات من مصيره، ولكن لا أحد يفلته مصيره)

(يجلس سعيد بين مجلته وموسيقاه وتمايله دون أن يغير من جلسته، فلم ينتبه لما يدور)

تسدل الستار

أرجوا ألا تكون قد إنتهت

محمد عادل أبو الخير

القاهرة/ نوفمبر ٢٠١٦

Mabukhair1981@gmail.com

/http://mohamedadel81.wordpress.com